



للدراستات المستقبلية

istishraf.dohainstitute.org

الكتاب السنوي الخامس للدراسات المستقبلية

عدد خاص في موضوع

«مستقبلات التحولات الديموغرافية ورهاناتها عربياً»

يقع السؤال الديموغرافي، بمعناه الواسع، في قلب جلّ القضايا الاجتماعية المعاصرة الرئيسة: الموارد، والمناخ، والنزاعات، والهجرة، والتمدين، والنمو، والتعليم، والتوظيف، والتقاعد، والصحة، والدمقرطة، وغيرها.

وتزداد حدة هذا السؤال بالنظر إلى التغيرات الديموغرافية الكبرى التي شهدتها العالم في العقود الأخيرة، والتي من شأنها أن تستمر خلال العقود المقبلة. فبعد أن كان عدد سكان العالم يقدر بـ 954 مليون نسمة في عام 1800، و1.612 مليار عام 1900، و2.519 مليار عام 1950، شهدت هذه الساكنة نقلةً كبرى في خلال العقود السبعة الأخيرة لتبلغ 7.7 مليارات نسمة في منتصف عام 2019، بعد أن انضاف إليها مليار شخص منذ عام 2007، ومليارا شخص منذ عام 1994¹. وقد بلغ معدل نمو سكان العالم ذروته في الفترة 1965-1970، عندما كان يرتفع بنسبة 2.1

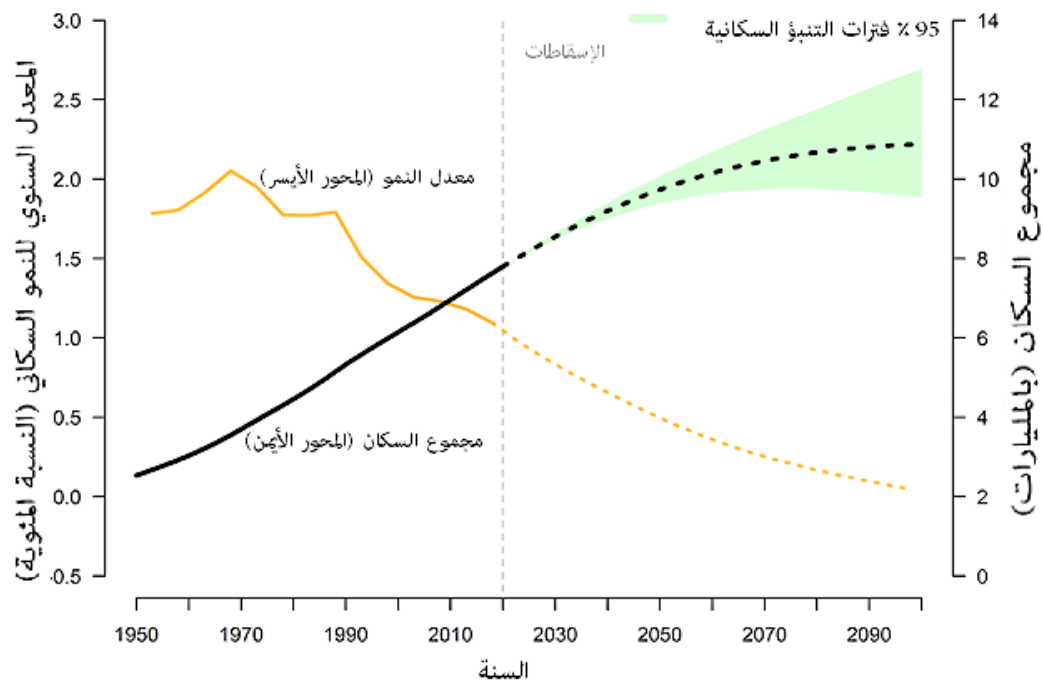
¹ United Nations, Department of Economic and Social Affairs, Population Division, *World Population Prospects 2019: Highlights* (New York: United Nations, 2019), p. 5.

في المئة في السنة في المتوسط، قبل أن تتباطأ وتيرته بمقدار النصف، لتتخفف إلى أقل من 1.1 في المئة سنوياً في الفترة 2015-2020؛ ومن المتوقع أن يستمر هذا التباطؤ حتى نهاية هذا القرن.²

وتفترض تقديرات الأمم المتحدة، وفقاً للإسقاط المتوسط المتغير، انخفاض الخصوبة في البلدان التي لا تزال فيها الأسر الكبيرة سائدة، وزيادة طفيفة في الخصوبة في العديد من البلدان التي تنجب فيها النساء أقل من ولدين على قيد الحياة في المتوسط على مدار العمر، وتخفيضاً مستمراً للوفيات في جميع الأعمار³. وتخلص الإسقاطات الأممية إلى أن حجم سكان العالم سيبلغ ما بين 8.5 و8.6 مليارات في عام 2030، وما بين 9.4 و10.1 مليارات في عام 2050، وما بين 9.4 و12.7 مليارات في عام 2100.⁴

الشكل (1)

تطور ساكنة العالم وإسقاطاتها المستقبلية (1950-2100)



المصدر: United Nations, Department of Economic and Social Affairs, Population Division, *World Population Prospects 2019: Highlights* (New York: United Nations, 2019), p. 5.

² Ibid.

³ Ibid.

⁴ Ibid.

يوجب هذا المشهد الديموغرافي العالمي تباينات كبيرة بين فئتين متميزتين من البلدان: القوى العجوزة من جهة، والبلدان الأكثر شباباً من جهة ثانية، ومن ضمنها البلدان العربية التي بدأت تشهد تغيرات ديموغرافية كبرى في العقود الأخيرة. فبعد أن تميّز العالم العربي فترة طويلة من بقية العالم (باستثناء أفريقيا جنوب الصحراء) بامتلاكه أحد أعلى معدلات النمو والخصوبة في العالم، دخلت هذه البلدان، على اختلافات في التوقيت والحدّة والسرعة، مرحلة "الانتقال الديموغرافي"، الذي يدلّ على مسارٍ يتسم بالسيطرة على الوفيات والخصوبة والحدّ منها.

فمنذ منتصف القرن الماضي، بدأ معدل الوفيات في الانخفاض، على نحوٍ عام، في جميع المجتمعات العربية، وارتفع متوسط العمر المتوقع بشكل كبير خلال الـ 45 أو 50 عاماً الماضية، وانخفضت الخصوبة أيضاً بشكلٍ كبير، مارّةً من 7.5 أطفال للمرأة إلى أقل من 3 أطفال، مقتربةً بذلك من كثير من الدول من معدّل التعويض الديموغرافي، أي معدّل 2.1⁵، إلى درجة أنّ دولاً مثل تونس ولبنان والإمارات العربية المتحدة أصبحت اليوم تحت مستوى هذا المعدّل. ومن شأن دول عربية أخرى أن تنضمّ مستقبلاً إلى قائمة البلدان منخفضة الخصوبة، أي ذات المستويات القريبة من المستوى التقليدي للتعويض الديموغرافي، أو حتى أقل منه.

يذهب الكثيرون إلى ربط هذه التحولات بعملية التحديث في المجتمعات العربية، في التعليم، والخصوبة، والزواج، والتمدين، وردم الفجوة بين الجنسين، وغيرها، عادّين أنها تُعجّل بالتحولات السياسية في هذه البلدان، من خلال تسريع سقوط الأنظمة التسلطية وقيام الديمقراطية⁶. في حين يؤكّد البعض الآخر، من دون إقامة علاقة ميكانيكية بين التحولات الديموغرافية ونتائجها السياسية، أنّ التركيبة السكانية تمثّل شرطاً مسبقاً أو محفزاً للتحوّل السياسي، دون أن تكون محددةً له بشكل كامل⁷؛ وهو ما تؤكّده العديد من الانتفاضات العربية المعاصرة (تونس، وليبيا،

⁵ يوسف كرجاج، "هل تؤدي الثورة الديموغرافية إلى ثورة ديمقراطية؟ نموذجاً الشرق الأوسط وشمال أفريقيا"، عمران، العدد 3 (شتاء 2013)، ص 9-10.

⁶ المرجع نفسه، ص 21.

⁷ David Reher & Miguel Requena, "Un profil démographique du monde arabe," *Idées* (Été 2011), pp. 28-31.

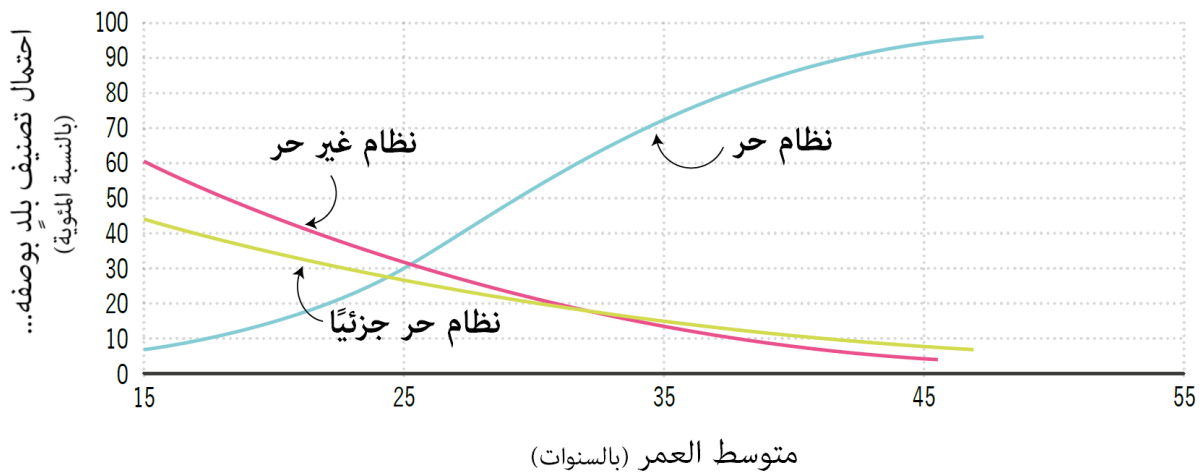
ما يعبر عنه يوسف كرجاج بالقول إنّ "الثورة الديموغرافية" قد أنتجت بلا شكّ خميرة "الثورة الديمقراطية":

Youssef Courbage, "Où en est la transition démographique dans le monde arabe?" IReMMO - Analyses (s.d.), accessed on 9/4/2019, at: <https://bit.ly/2ISJHcR>

ومصر). وتظلّ النقطة المركزية في هذه المقاربات التأكيد على دور بُعد "فائض الشباب" أو "طفرة الشباب" Youth bulge في هذا التحول، وتزايد الطلب على التغيير السياسي⁸. وفي هذا الصدد، تشير بعض الدراسات إلى أنّ "العمر الوسيط" يعدّ أهمّ مؤشرٍ على التطور السياسي لبلد معين، معتبرةً أنّ الدولة التي يقلّ العمر الوسيط فيها عن 25.5 سنة ليس لديها سوى "فرص ضئيلة" لأن تصبح نظاماً حراً (أي ديمقراطية ليبرالية)⁹.

الشكل (2)

التحوّلات الديموغرافية وفرص التحول إلى ديمقراطيات



المصدر: Richard Cincotta, "8 Rules of Political Demography That Help Forecast Tomorrow's World," New Security Beat, 12/6/2017, accessed on 11/10/2019, at: <https://bit.ly/347aF1d>

لقد كانت هذه التطورات بالتأكيد من بين الأسباب الجذرية للثورات العربية المعاصرة، إلى جانب تحولات النمط التقليدي للأسرة التي ساهمت (ولا تزال) في زعزعة أسس أنماط الحكم السلطوية السائدة، والقائمة على نموذج "مجتمع الوصاية"، أو "المجتمع البطيركي"، أو "خطاطة

⁸ Cf. Sohail Inayatullah, "Youth Bulge: Demographic Dividend, Time Bomb, and other Futures," *Journal of Futures Studies*, vol. 21, no. 2 (2016), pp. 21-34.

⁹ Richard Cincotta, "8 Rules of Political Demography That Help Forecast Tomorrow's World," *New Security Beat* (21 June 2017), accessed on 11/10/2019, at: <https://bit.ly/347aF1d>

مع العلم أنّ العلاقة أقلّ وضوحاً بالنسبة إلى الدول "الصغيرة" (أقل من 5 ملايين نسمة).

الشيخ والمرید¹⁰. ومن ثم، أهمية النظر في هذه التحولات الديموغرافية واستشرف رهاناتها المستقبلية بالنسبة إلى البلدان العربية.

من جهة أخرى، ركزت النقاشات حول التغيير الديموغرافي في الماضي على محدودية الموارد واستدامتها وقدرة الكوكب الأرضي على إطعام البشرية في القرن الحادي والعشرين؛ قبل أن تبدأ صيغة السؤال في التحول مع بداية الألفية الثالثة. إذ على الرغم من أنه لا يزال نحو مليار شخص لا يجدون حتى اليوم ما يكفيهم من الغذاء، فإن المجاعات لم تعد تنظم الديموغرافيا، كما تنبأ بذلك مالتوس منذ القرن الثامن عشر. ويبدو اليوم مقبولاً على نحو واسع أنه إذا تم توزيع الغذاء جيداً على جميع أنحاء الكوكب البشري، فيمكن أن يوفر الإنتاج الزراعي العالمي اليوم لكل فرد نظاماً غذائياً متوازناً يبلغ 3000 سعرة حرارية في اليوم. وحتى إن كان ينبغي، من أجل إطعام الجميع بشكل صحيح في عام 2050، مضاعفة إنتاج المحاصيل النباتية 1.85 ضعفاً، فإن الكوكب الأرضي سيكون قادراً على إطعام ساكنته المقدرة حينها بنحو 9 أو 10 مليارات نسمة، على نحو متوازن، عبر استخدام الزراعة غير المكثفة، والحد من الهدر في الموارد، وزيادة الأراضي الزراعية والأراضي المرورية، وتعزيز الابتكار التكنولوجي ونمو الإنتاجية¹¹.

والأمر ذاته ينطبق على مسألة المياه. فإن كان نقص المياه يمثل مأساةً حقيقية اليوم، فإنه أيضاً مشكلة يمكن حلها دون حدوث تغييرات جذرية في نمط الحياة. فحتى إن كانت الزيادة الديموغرافية المطردة تمثل ضغطاً متزايداً على الموارد المائية، فلن تعاني البشرية في المستقبل "نفاذ المياه". إذ إن نقص المياه هو مسألة تدفق، وليست مسألة مخزون؛ فالمورد وفير في جميع أنحاء الكوكب، وهو قابل للتجدد. فهو يعاني فقط من سوء التوزيع، والهدر، والاستخدامات السيئة والمفرطة، لا سيما لطبقات المياه الجوفية. كما من شأن المشاكل المائية العديدة التي تعانيها الكثير من البلدان العربية، والتي تواجه على نحو متزايد حالات "الإجهاد المائي" Water Stress، أي قلة الوصول إلى المياه غير الملوثة لتلبية احتياجات الزراعة والحياة اليومية، أن تجد لها حلولاً يسهل تطبيقها من أجل تقليل الاستهلاك المائي. فعلى سبيل المثال، يعد هدر المياه المستخدمة في

¹⁰ ينظر: عبد الكبير الخطيبي، الكاتب وظله (باريس: منشورات الاختلاف، 2008)؛ هشام شرابي، النقد الحضاري للمجتمع العربي في نهاية القرن العشرين (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 1990)؛ عبد الله حمودي، الشيخ والمرید: النسق الثقافي للسلطة في المجتمعات العربية الحديثة، ترجمة عبد الحميد جحفة (الدار البيضاء: دار توبقال للنشر، 2000).

¹¹ Cf. Jonathan A. Foley et al., "Solutions for a Cultivated Planet," *Nature*, vol. 478 (2011), pp. 337-342.

الزراعة في هذه البلدان بسبب التسريبات الهائلة، على الأقل بنسبة تصل إلى 40 في المئة، مشكلاً أساسياً؛ في حين أن "الري بالتنقيط" Drip irrigation فعال جداً في اقتصاد المياه، فضلاً عن أنه يزيد في الإنتاجية بشكل ملحوظ؛ فضلاً عن تحلية مياه البحر التي تنخفض تكلفتها وتصبح في متناول الدول ذات الواجهة البحرية.

إضافة إلى ذلك، تظل إحدى أهم الإشكالات التي تطرحها التحولات الديموغرافية في البلدان العربية أنها تجلب أعداداً كبيرة من الشباب إلى سوق العمل، مسهمَةً، إلى جانب تفاقم عدم المساواة في التنمية على مستويات وطنية ودولية، في تزايد احتقان الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية والسياسية الداخلية، وتنامي الهجرة الدولية بوصفها استراتيجية فعالة للحركة الاجتماعية وللتنفيس عن الأوضاع الداخلية المتأزمة¹². ومن شأن هذه الظروف الديموغرافية التي يسمها الوزن الديموغرافي النسبي المتزايد للشباب، أن تزيد من الضغوطات على أسواق العمل العربية المحدودة بنماذج الاقتصادات الريعية والتنمية المعاقة، وأن تترافق مع نزاعات سياسية خطيرة للغاية قد تؤدي إلى أوضاع شديدة الانفجار، في ظلّ عدم تبلور نماذج سياسية ومؤسسية تضطلع بحلّ مستدام للإشكالية التنموية.

ثمة حاجة ماسّة إذًا اليوم إلى النظر من منظور استشرافي في مختلف هذه القضايا المرتبطة بالتحولات الديموغرافية في البلدان العربية، لتدارسها وتحليل تأثيراتها المتعددة وعلى كلّ المستويات في مستقبل هذه البلدان، لا سيما في المحاور الرئيسة التالية:

— الإسقاطات الديموغرافية للبلدان العربية في آفاق 2030، 2050، 2100.

— النافذة الديموغرافية/ الهبة الديموغرافية وفرص التنمية في المستقبل.

— الديموغرافيا والنزاعات والانتقال الديمقراطي.

— التحولات الديموغرافية ورهانات أسواق العمل العربية.

¹² مع بداية القرن الحادي والعشرين، بلغت الهجرات الدولية 260 مليون شخص، وهو رقم تضاعف ثلاث مرات منذ عام 1975، وتضاعف مرتين منذ نهاية القرن العشرين.

- التحولات الديموغرافية والتمدين والفقير.
- التحولات الديموغرافية وإشكالية الموارد والتنمية المستدامة.
- التغيرات الديموغرافية والاجتماعية في العالم العربي.
- التحولات الديموغرافية والهجرات الإقليمية والدولية.

نواظم الترشيح

- تستقبل دورية استشراف المقترحات البحثية في موضوع "مستقبلات التحولات الديموغرافية ورهاناتها عربياً"، والتي تتميز بمعالجات بحثية جديدة في موضوعها أو تقدّم قيماً ونتائج بحثية مضافة، وذلك وفقاً لمواصفات المقترح البحثي التي يعتمدها المركز العربي.
- تخضع البحوث المنجزة للتحكيم المسبق بمساعدة لجنة علمية مختصة.
- يراوح حجم الأوراق البحثية بين 6000 و8000 كلمة.
- ترسل الأبحاث باللغة العربية، كما يمكن إرسالها باللغة الإنكليزية، وتجري ترجمتها في هذه الحالة بعد الموافقة عليها.
- يجري استقبال المقترحات البحثية في أجل أقصاه 30 نيسان/ أبريل 2020.
- ترسل المقترحات البحثية على العنوان الإلكتروني التالي: istishraf@dohainstitute.org

ملحوظة: تستقبل دورية استشراف أيضاً مراجعات الكتب Book reviews الصادرة حديثاً في موضوع "مستقبلات التحولات الديموغرافية ورهاناتها عربياً"، ويراوح حجمها بين 1000 و3000 كلمة.